

دراسة في عقم الشعر العربي

بمهد عبد الجليل حسن

قائمة كهذه ؟ لا شك أننا لا يمكن أن نفرس ضعف الشعر وعقمه بأحداث العصر ، فهذا ان جاز في عصور التأخر والتدهور كما في العصر المملوكي أو العثماني فإنه لا يجوز قط في مثل هذا العصر ، فكيف إذن أمكن أن يحدث هذا؟ وما سبب هذا الانحراف والعقم وعدم الصدق العاطفي والانطلاق الوجداني في التعبير عن أحداث العصر ؟ السر يكمن عند المؤلف في المشكلة اللغوية أو الازدواج اللغوي ثم في مفهوم الشعر لدى الشاعر وتصوره لمعنى الابتكار .

ويعني الكاتب بالازدواج اللغوي « اتساع مسافة الخلف اتساعا كبيرا بين لغة الحديث ولغة النظم بحيث توشك الاخيرة ، أي لغة النظم ، أن تصبح لغة أجنبية بالقياس الى الناظم والى أبناء مجتمعه » (ص ١٤) ، وليس هو الازدواج العادي الشائع بين لغتي الحديث والكتابة والذي لا يتجاوز النطق الصوتي للكلمات والجمل من ناحية مخارج الحروف . . . الخ ، وقد ظل الازدواج اللغوي في مصر وأجزاء من الوطن العربي قائما منذ القرن السادس حتى النهضة الحديثة حين أخذ التعليم ينتشر والمدارس تقام والكتب تطبع والمجلات والصحف توزع ثم وسائل الاعلام الأخرى . . مما جعل الفجوة بين لغة الحديث ولغة النظم تضيق سنة بعد سنة « وان الزمن الذي كان ضد ازدهار الشعر الغنائي بالامس صار معه وجانبه في يومنا وغدنا » .

والفكرة العامة التي تسيطر على البحث هي مشكلة العقم والابتكار في الشعر العربي ، ولم يرد الكاتب أن يبحث موضوعه بحثا نظريا بل طبق دراسته على شاعر، لم يختره المؤلف فقط لأنه قمة في العصر الايوبي، أو أنه أمير شعراء الصنعة في هذا العصر وأن القاضي الفاضل قد ولاه امارة الشعر في عصره ، وإنما اختاره فيما يخيل الي لسبب آخر هو أنه كان موضع اهتمام من جانب المؤلف ، فالمؤلف من المتخصصين القلائل في دراسة الرجل والموشحات ، وابن سناء الملك أول من أذاع فن التوشيح في المشرق وألف فيه ، وكان يمكن للمؤلف أن يختار شاعرا آخر أو أشعارا لشعراء مختلفين ولا يتغير الوضع .

ولعل عنوان الكتاب قد أساء اليه ، ولم يدل على طرافة موضوعه مما لم يجعل كثيرين يلتفتون اليه، فالكتاب ليس دراسة لابن سناء الملك ، وإنما هو دراسة للمشكلة اللغوية ومشكلة العقم والانحراف في فهم معنى الابتكار في الأدب العربي في العصور المتأخرة ، وأشعار ابن سناء الملك ليست الا الامثلة التي طبق عليها الكاتب بحذق بالغ فكرته ، ولذا فلا ترى في الكتاب دراسة لحياة ابن سناء وبيئته ، بل رفض الكاتب مثل هذا المنهج ، وكما قلنا كان يصلح للتطبيق اية أشعار أخرى منتقاة تعتبر نماذج معبرة

لاحظ الناقد الانجليزي الشهير رتشاردز في كتابه « مبادئ النقد الادبي » « أن موضوع الرداءة في الشعر لم يلق من الدراسة النظرية ما هو جدير به ، ويرجع ذلك الى حد ما الى صعوبة التفكير فيه » ، و « الرداءة » هذه كلمة عامة جدا ، وحتى يمكن أن نفهمها لتجنبها ، نحتاج الى دراستها من مختلف الزوايا على الرغم من صعوبتها، وقد صدر أخيرا كتاب هام (١) يعالج ناحية من هذه النواحي ، هي ناحية العقم في الشعر العربي ، في شكل دراسة نظرية تطبيقية ، فنحن أحوج ما نكون الى دراسة « عصور العقم حتى نعرف علل الضعف وأسباب العقم ، اذا أردنا لشعرنا العربي أن يكون خصبا ناميا » .

والقضية التي يثيرها الدكتور عبد العزيز الاهواني في مستهل كتابه هي : هل يخطيء الشاعر ؟ وهل يمكن أن نصف التعبير عن العواطف والاحاسيس بالخطأ ؟ ويجب أنه بالرغم من أن الحقائق العلمية وشؤون الحياة العملية هي التي توصف بالخطأ والصواب الا أن الشاعر قد يخطيء بل ان شعراء عصره بكامله قد يخطئون وينحرفون في فهم الشعر ، مما يجعلنا نصف العصر كله بالعقم والانحراف ، كما هو الحال في عصور الادب العربي المتأخرة . وقد اختار الكاتب لدراسته شاعرا هو ابن سناء الملك وعصره هو القرن السادس الهجري .

فأما الشاعر فهو قمة هذا العصر الشعرية ، وهو شاعر قد بذل جهدا جبارا ليصل الى الابتكار والابداع وتوليد المعاني ، فكان نموذجا للعقم ، لأنه فهم الشعر على أنه جهد عقلي قائم على الحجج المنطقية والتوليد الذهني، فكان شعره منفصلا عن عصره بل وعن ذاته وشخصيته، بل هو شعر يمتح من دواوين الشعر القديمة ويحتدي قواعد البلاغة والبدع الميكانيكية ولا يصور واقعا حيا، وإنما واقع التراث الذي تهرأ لانقطاعه عن التفاعل الحي مع الواقع المعاش . وأما العصر فهو العصر الايوبي، وهو عصر لا يمكن أن يقال عنه بحال أنه عصر عقيم بل يمكن أن يضارع - في رأي الكاتب - عصر الفتوحات الاسلامية من حيث الأهمية والقيم الحية التي عاشت في هذه المنطقة خلال العصر الوسيط ، فالخلاف الفعال كان قائما بين السنة والشيعا ، وكانت هناك المقاومة العنيفة للصليبيين وفرحة الانتصار عليهم ومغالبتهم وانتزاع ما سلبوه ، مما كان يستلزم تعبئة الطاقة الشورية ، وكان هناك نوع من الوحدة بين اقليمي مصر والشام ، كل هذه أحداث متصلة بالناس ، يعيشونها من غير شك (ص ١٠ ، ١١) .

فكيف أمكن للشعر أن ينحط ويضعف في عصر نهضة

(١) عبد العزيز الاهواني : ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٢٢ صفحة من القطع الكبير .

لشعر هذا العصر ، ومن غير شك كانت بعض اشعار ابن سناء سترد ضمنها ، ولكن الكاتب الفاضل قصر نفسه على اشعار ابن سناء الملك ، فمع أن عنوان الكتاب هو « ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر » فلا شيء عن ابن سناء غير أشعاره .

والقضية الهامة التي تكمن وراء هذا البحث ليست هي مجرد تقرير « عقم » الشعر العربي في القرن السادس الهجري ، وعزلة شعر الشعراء عن الحياة وجماهير الشعب وعن ذوات الشعراء أنفسهم ، إذ لا جديد في هذا ، فمن المعروف في كتب تاريخ الادب عامة أن شعراء هذا العصر وما تلاه قد غلبت عليه الصنعة اللغوية والحسنات البديعية والتوليد العقلي أو الذهني ، تلك قضايا عامة تذكر في معظم كتب التاريخ الأدبي ، ولكن المهم والجديد هو في تفسير هذه الظاهرة وردها الى المشكلة اللغوية ، واثبات ذلك في تفصيل واف ، والتدليل عليه بصورة فريدة تنم عن جهد وتحقيق ومقارنة ونفاذ النظرة في التراث العربي والامام به ، ووراء ذلك مفهوم حديث واع للشعر الغنائي ووظيفته في الحياة .

وقد وضع الكاتب فرضا يبدو صحيحا وهو أن العصور التي يوجد فيها الازدواج اللغوي لا تنجب الشعراء الغنائيين الكبار ، وكشف الكاتب في وضوح وطرافة عن خطورة المشكلة اللغوية أو الازدواج اللغوي وأثرها في عقم الشعر العربي ، وكذلك ضرر المفاهيم الخاطئة التي سيطرت على الشعراء حول معنى الابتكار والبلاغة مما أدى الى عقم هذا الشعر وابتعاده عن الصدق أو التعبير عن الذات . وقرر الكاتب أن اصطناع منهج الدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والبيئية والاهتمام بالسيرة الشخصية لفهم أمثال هؤلاء الشعراء مناهج غير صالحة أو غير مجدية لفهم هؤلاء الشعراء . « ذلك لأن هؤلاء الشعراء كادوا يفصلون فضلا تاما ما بين شعرهم وحياتهم العامة والخاصة ، لقد عاشوا في دواوين الشعر العربي القديم أكثر مما عاشوا في بيئتهم المعاصرة » (ص ١٠٠) .

ولكن ترى هل يمكن أن يكتفي الباحث بمثل هذا المنهج الذي يفقل دراسة العصر ، و « يركز العناية حول الاساليب التعبيرية وصلة هذه الاساليب بالسابقين من الشعراء » ، ويرد السبب في تأخر الشعر وعقمه في العصور المتأخرة الى المشكلة اللغوية وحدها ؟ يبدو لنا أنه بالرغم من أهمية المشكلة اللغوية وخطورتها وطرافة الكشف عن تأثيرها في عقم الشعر وضعفه ، إلا أن الكاتب لم يفسر المشكلة حقيقة ، لان هذا الوضع نتيجة وضع آخر عام ، فالمشكلة اللغوية ليست

سببا ولكنها عرض لاتجاه الحضارة العربية ، وتطور لوضع قديم ، ولا يمكن فصلها عن العصر أو بالأحرى عن اتجاه تطور الادب والشعر العربي بوجه عام حتى بلوغه مرحلة العقم في القرون المتأخرة ، باعتبار أن الادب يعكس الاوضاع الاجتماعية بمعناها الواسع .

فالشاعر العربي عادة نتيجة للتقاليد القبلية الصارمة وللمواضعات الاجتماعية وللروح الجماعية التي تسود داخل القبيلة ، كان اهتمامه لا يتجه الى ذاته بقدر اهتمامه بالوصف الخارجي ، ولذا فإن تصوير العاطفة والانفعالات أو عكس هذه الانفعالات في صورة مفصلة شيء نفتقده غالبا في الشعر العربي ، وهذا الموقف مرتبط بقضية الحرية الفردية لدى البدوي ، وهي قضية معقدة لان حرته محدودة في إطار القبيلة ثم أصبحت عند تحضره وانتقال الحضارة الى التحضر محدودة بعنصر التقاليد الجامدة المحددة وتدور في نطاقها ، ومرتبطة كذلك بوضع المرأة والمحرمات العديدة بالنسبة الى الجنس ، مما جعل الشاعر العربي لا يصف امرأة بعينها عادة بل المرأة التي يصفها هي المرأة المثالية ، المرأة النموذج ، والعلاقة معها ليست علاقة شخصية ... هذا في الوقت الذي كانت اللغة فيه مرتبطة ومتصلة بالحياة ، وبعد ذلك توالى العصور الادبية تقلد هذه النماذج وتحاكيها ، وكانت الثورات عليها محدودة ، فالشعر العربي في أوله بوجه عام كان ضعيف الارتباط بالحياة الفردية الشخصية الملموسة المحسوسة ، ولكنه مع هذا كان يصدر عن الحياة ويعكس على نحو ما صورة الحياة العربية الاولى ، ولم تكن هناك مشكلة الازدواج اللغوي التي تحدث عنها المؤلف . واستمر الشعراء بعد ذلك ، نظرا لفكرة قداسة التراث والارتباط الشديد به ، يصدر عن شعرهم عن التراث والتقاليد الادبية التي استنبط أسسها البلاغيون واللغويون والنحاة من دراستهم للتراث أيضا .

وقد تفاقمت المشكلة حين لم يعد هذا التراث متفاعلا مع الحياة الواقعية العريضة الخصبية ، ولكنه يتفاعل فقط مع حياة بيئة محدودة ، هي بيئة اللغويين والفقهاء والمدرسين وكتاب الدواوين ... والادهي من هذا أنه لم يتفاعل مع الحياة المعاشة لهذه البيئة ، وإنما مع مفاهيمها المجردة عن البراعة والابتكار الذي ينحصر في اللفظ الرائق والتورية اللطيفة والمعنى المبتكر ، وهو المعنى الذهني العقلي حتى يمكن ان يفهمه اللغويون والبلاغيون ، وهم المهيمون على النقد .

وقد عبر كاتب المقال عن ذلك في بحث له عن التجربة في الادب (٢) « ان الوصف في الادب العربي غالبا وصف

(٢) مجلة الشهر ، عدد سبتمبر ١٩٥٨ .

صدر حديثا :

داهية العرب

تأليف
الدكتور عبد الجبار الجومرد

ابو جعفر المنصور

مؤسس الدولة العباسية

دار الطليعة - بيروت ص. ب ١٨١٣

المتأخرة « وقفوا طويلا عند الكلمة اللغوية » فهل معنى ذلك أنهم بلغوا الغاية من الشعرية؟!

ومن نتائج المشكلة اللغوية انقطاع صلة الشاعر بالجمهور الكبير لانه لا يعرف لغة الكتابة ، واقتصار ذلك على جمهور صغير محدود ، مما أدى الى عدم اشتراك الشاعر في تعبئة مشاعر الجماهير في عصر كعصر الحروب الصليبية ، بل وحتى في عدم مقدرة على اسماع صوته لحبيبه لأنها لا تفهم ما يقول ، ولذا لم يعد الغزل في حاجة الى الصدق بعكس موقف الشعراء الغزليين في الحجاز مثلا في العصر الأموي حيث كان جمهورهم عريضا ، وكانت النساء يمكن أن يقرأن شعرهم ويفهمه .

وتناول موقف الشاعر من التراث وتقديسه له ، ورفض أن يفسر العقم في الشعر الايوبي بالسبب الديني ، « الذي ترد اليه كثير من مظاهر المحافظة في المجتمع الاسلامي » ، ولكن رد ذلك الى المشكلة اللغوية باعتبارها هي السبب المباشر المتصل بالموضوع (ص ٢٩) ، ثم أخذ يتبين موقف ابن سناء من التراث من خلال كتابه فصوص الفصول .

وأوضح مظاهر « الركافة » في شعر ابن سناء ، باعتبارها مظهرا من مظاهر الازدواج اللغوي ، وعرض نماذج من هذه الركافة في شعر ابن سناء ، وتتبع أخطاء الشاعر اللغوية والنحوية .

وذكرنا الكاتب بمثلين آخرين في غير اللغة العربية لمشكلة الازدواج اللغوي وآثارها الماثلة في عقم الشعر ، وهذان المثالان الواضحان عرفتهما اللغة اليونانية في عصر الاسكندرية واللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى في غرب أوروبا ، حين امتد بهما العمر ، وانتقلتا من مهدهما

من السطح فقط ، والصور منتزعة من تركيبات عقلية مجردة تعتمد على المقارنة والربط الخارجي بين الصور المرئية .. ولعل مرد هذا الى الطابع العام لحضارتنا قديما . وخاصة في عصورها المتأخرة ، حيث لم يقصد من التعبير الادبي أن يعبر عن تجارب ذاتية ، ولم يكن يسمح للفرد أن ينفصل عن التقاليد ، والنظام السائد ، لكي يعيش مع ذاته يتأملها ، بل كان المطلوب منه أن يردد ما هو سائد في الخارج ، ولذا كان التعبير الشعري تلاعبا على سطح الفاظ لغة القاموس فقط دون معاشة لها .. فقد كان المجتمع بوجه عام ، يعيش على سطح ترائه في مختلف نواحي نشاطه .

ومما يوضح المسألة أكثر أن نسأل لمن يكتب الشاعر؟ ومن هي الجماعة التي كان يحاول ابن سناء الملك أن يحظى بتقديرها ويؤثر فيها بشعره ؟ انها جماعة اللغويين والبلاغيين ، والشعراء المقلدين ، شعراء النماذج التي تحاكي وليس شعراء الحياة .

ولما كانت اللغة منفصلة عن الحياة - وتلك هي مشكلة الازدواج اللغوي التي تحدث عنها الكاتب - فان الكلمات والالفاظ تفقد حيويتها وتصبح عملة صدئة وتغيب منها الشحنات العاطفية التي تستمدتها من الحياة وتستبدلها بشحنات متخيلة مستجلبية من التراث ، وتقتصر على حيوية القواميس والمعاجم ودواوين الشعر القديمة ، وتلك حيوية خامدة هامة ، وبذلك تصبح المواقف الشعرية مواقف تقليدية ، منسوخة من مخزون التراث وتكون الاستجابة لها ليست استجابة عاطفية لانفصالها عن الحياة بل استجابة ادراكية متعلمة .

وبالتالي فان الاهتمام الشديد باللغة في مرحلة الازدواج اللغوي لا يؤدي الى الاهتمام بالشعر ولكن بصناعة الشعر ، بالبراعة في النكتة القائمة على التلاعب بالالفاظ والمهارة في ذلك ، ومن هنا كانت هذه الالوان العديدة من الجناس والتورية وغير ذلك .

ويحتاج الأمر كذلك الى الدراسة النفسية التي توضح صلة الحسنات كالتورية بفقدان الحرية الذاتية ، وأنها دليل على التعبير المتوي عن الذات .

فليست المشكلة مشكلة لغوية فقط بل هي مشكلة طابع حضاري عام ، ويمكن ربطها بمظاهر اخرى متنوعة في الفن العربي والزخرفة العربية ونقص العنصر الدرامي ... مما يساعد على تفسير كل تلك المظاهر التي درسها الكاتب ودلل عليها في نطاق المشكلة اللغوية وحدها .

والكتاب عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول - فصل عن المشكلة اللغوية والعقم ، وفصل عن الابتكار ووسائله ، وثالث عن ابن سناء الملك والموشحات .

وقد أجمل الكاتب أفكاره الرئيسية ، وجملة النتائج الهامة التي وصل اليها خلال بحثه في المقدمة .

وتناول في الفصل الاول التعريف بالازدواج اللغوي الذي قوبل المشكلة اللغوية والعامل الرئيسي فيما أصاب الشعر من ضعف ، ثم تناول اللغة والشعر الغنائي ، وتعرض الكاتب لوظيفة اللغة في الشعر الغنائي ، وقد أدى به ذلك الى أن يذكر رأي جان بول سارتر ، وتفرقة بين « استخدام » الكاتب للغة باعتبارها أداة ، و « خدمة » الشاعر لالفاظ اللغة باعتبارها غاية في ذاتها ، وعرض الكاتب رأي سارتر ليدفع شبهة قد تتوهم لأن هؤلاء الشعراء في العصور

يقول ميشال عفلق في بعض كتبه : ان القدر قد اختار حزب البعث لقيادة الاممة العربية ، وان على البعثيين ان يحكموا ويتصرفوا بموجب هذا التفويض . .

طالع مناقشة فيلسوف القومية العربية

ساطع الحصري

لهذا الاتجاه الفكري عند حزب البعث في

كتاب الساعة

الاقليمية

جزورها وبذورها

دار العلم للملايين

الاول ، وقد عانتا نفس الاثار من العقم والجذب والمحاكاة والتكلف اللفظي في مجال الشعر الغنائي . ثم ناقش الكاتب موضع الشعر من العاطفة أو الوجدان والتفنن العقلي والكذ الذهني ، وأوضح أن ابن سناء انحرف بالشعر فجعله حجاجاً عقلياً ، ومن الطريف أن الكاتب لكي يبرهن على دعواه في ضعف شعر ابن سناء لاعتماده على كد الذهن والعقل استخدم الدليل العقلي والمحاسبة الذهنية في محاكمة شعر ابن سناء .

ثم تعرض الكاتب في نهاية الفصل الاول الى مفهوم الشعر بين اليوم والامس ، وتحديد مفهوم الشعر هام لانه « لو استقام لأولئك الشعراء لخفف كثيراً من آثار المشكلة اللغوية ، فركنا العقم فيما نرى هما : المشكلة اللغوية والخطأ في مفهوم الشعر » (ص ٥٩) ، ولكي يوضح مفهوم الشعر راح يعرض رأي المؤرخ الفيلسوف الانجليزي كولنجوود في مفهوم الفن (ص ٥٩ - ٧٦) ، ونقض النظرية القائلة ان الفن أو الشعر « صناعة » ، وأورد ملامح هذه النظرية لدى قدامة وأبي هلال العسكري ، ثم نقد المؤلف آراء كولنجوود وناقشها وأوضح أنها لا توضح لنا السر في انحراف الشعر وضعفه .

ويتناول الكاتب في الفصل الثاني « الابتكار ووسائله » ويرد السبب في العقم الشعري الى الفكرة الخاطئة التي سيطرت على الشعراء حول معنى الاختراع والابتكار الذي استنفد جهدهم جرياً وراء المعاني التي لم يسبقوا لها ، مع انحراف في فهم الشعر ، وسطحية في الاحساس ، وولع بالفراغة والتفرد ، وتغليب للعقل على العاطفة ، ويعرض لمفهوم ابن سناء الملك عن الشعر من كتابه « قصص الفصول » (وهو مخطوط) ، وفهمه له على أنه اتيان الشاعر بالمعاني الجديدة التي لم يطرقها الشعراء ، ويحدد السمات البارزة في صنعة ابن سناء الشعرية ، وهي المفارقة ، وحسن التعليل ، والمبالغة ، والطباق ، والارتباط بالتراث السابق ، والجناس . ثم يتناول بالتفصيل هذه السمات ، ويقف طويلاً عند حسن التعليل ، ليناقش ابن سناء ، ويكشف عن أن الصور الملققة التي ظن ابن سناء أنها ابتكار ، إنما هي من وحي التداعي اللغوي للالفاظ .

ولا أدري كيف استطعت أن أتأكد من رأي سبق أو كونه عن شاعر وكاتب عربي معاصر هو مصطفى صادق الرافعي ، وهو أن مجمل ابتكاراته وأفانيه ومحاولته التعمق ، إنما هي من وحي التداعي اللغوي للالفاظ وكم أحببت لو أن بحثاً مماثلاً يكشف عن أسلوب مصطفى صادق الرافعي وارتباطه الى حد بعيد « بالمشكلة اللغوية » في صورتها الحديثة . ان تحليل المؤلف للمشكلة اللغوية وصداها عند ابن سناء جعلني أتأكد من هذا الرأي .

وتتجلى في هذا الفصل طرافة الكاتب من خلال نظراته النقدية حول البلاغة العربية التي تحتاج منه الى أن يخصصها بحث مستقل ، فالقارئ يحس أن وراء ذلك بحثاً عن النظرية البلاغية أو النقدية الكامنة خلف الشعر العربي وآراء نقاده مثل عبد القاهر الجرجاني وابن طباطبا التي تجعل مادة الشاعر تقتصر على الخلط بين معاني القدماء بحيث يخرج شيء جديد ، فمادة الشاعر هي نفس المادة القديمة ، ولكن الجديد هو في الوصفة أو في التأليف .

وحاول الكاتب أن يدرس الشعر نفسه في ضوء فهم القدماء « المهمة الشاعر ورسالته في الحياة ، وصلة شعره بنفسه » (ص ١١٦) ، ثم يعرض لرأي صاحب المثل السائر في الابتكار وتعيينه لوسائل ابتكار المعاني واختراعها ، فعند ابن الأثير « ان المعاني المخترعة تستخرج من كتاب الله والاحاديث » . كيف ؟ « ترد الآية من كتاب الله أو الحديث النبوي ، والمراد بهما معنى من المعاني ، فأخذ أنا ذلك ، وانقله الى معنى آخر فيصير مخترعاً لي » ومثل هذه النصوص هامة وتحتاج الى مزيد من التحليل والعناية ، وقد فقه المؤلف هذه الدلالات ، مما يدل على دراية كبيرة بالتراث العربي ، وطول تفكير وذهن متفتح الى وظيفة الشعر في العصر الحديث ، وطلب للعدالة والاعتدال والائزان في محاكمة هؤلاء الشعراء ومساءلتهم ، والكاتب على دراية كبيرة بالحيل اللفظية والوشي البديعي ، ويرد كل ذلك الى التفكير العقلي . وفي دراسة المؤلف لموضوع الابتكار نظرات كلية صادقة ترد البلاغة العربية الى العناية باللفظ والاهتمام بالجزئيات والاقتصار على التعرف الى خصائص الشعر العربي وحده ، ومحاولة اكتشاف أسرارها ، « فكأن هؤلاء البلاغيين كانوا مسجلين ومقننين أكثر منهم مشرعين ومفلسفين » (ص ١٠٠) وهذا واضح عند دراسته للتشبيهات في الشعر العربي ، وأنها تشبيهات تهتم فقط بالمظهر المادي الخارجي للأشياء الحسية (ص ١٢٨) ، والكاتب يعتبر التشبيه مظهراً من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الأولية في التعبير ، يأخذ على التشبيه في الشعر العربي فقدان الشعور النفسي أو الموقف الوجداني العاطفي من جانب الشاعر . وكشف الكاتب في كتابه عن « براعة فائقة » في رد تشبيهات ابن سناء الى أصولها التي ولدها منها في تراث السابقين .

وقد فاق ابن سناء غيره من الشعراء في التشبيه الغريب والمعنى الجديد مما يجعل قراءة شعره تحتاج الى كد الذهن في بعض الأحيان ، ولم يعترف الكاتب لابن سناء بالتجربة الصادقة في شعره الا في ثلاث قصائد في ديوانه .

يصدر قريباً :

بقلم عبد الله الريماوي

اول كتاب في موضوعه يعالج
مسألة الحركة العربية الواحدة
بمنطق عقائدي قومي ثوري

الحركة العربية الواحدة

ثم تناول الحكمة في شعره ، وأنها قليلة ، ويرجع ذلك الى عدم تعمقه في تأمل الحياة والتدبر في الاحياء .

ولعل من الطريف تلك القضية التي اثارها الكاتب عند حديثه عن « المبالغة بين التكلف والصدق » فقد عرض لاشكال من المبالغة لدى ابن سناء الملك من مثل هذه الصورة :-

بأبي وأمي من حلمت بذكرها

لما انتهت ومذرقت تفسرا

« فالشاعر قد جعل الحلم في التنبيه ، وجعل الحقيقة أو تفسير الحلم في النوم ، فأوهم اختلاط الوهم بالحقيقة في نفسه بين اليقظة والنوم » (ص ١٥٤) ، وقرر أن مثل هذه الصور قد تلتبس على البعض فيظن لدى ابن سناء الملك اتجاهها « سرياليا » أو شبهها برأصحاب نظرية العقل الباطن في مجال الشعر والفن ، وراح يبين أن هذا الشعر لا يحتمل أن ينظر اليه على « أنه تجارب نفسية في حالات تشبه الاحلام والقيوبة مرت بالشاعر فعلا » (ص ١٥٧) . وانتهى الكاتب الى أننا « أمام عبث بالمعاني وتلاعب بالالفاظ لا يحمل وراءه ثروة نفسية ، ولا حالة نادرة من الحالات التي تعترى الموهوبين المهفي الحس من الشعراء والفنانين » (ص ١٧٤) .

وما كان الكاتب بحاجة قط الى الوقوف عند هذه المسألة تلك الوقفة الطويلة التي وقفها (ص ١٥٢ - ١٧٥) ، ولم يكن بحاجة أكثر الى أن ينقل نصا طويلا كاملا من كتاب موريس نادو « تاريخ السيريايلىة » (١٥٩ - ١٦٤) ، استغرق من صفحات كتابه ما يزيد على ٢ في المائة .

وفي الفصل الاخير « ابن سناء الملك والموشحات » ، تناول الكاتب محاولة ابن سناء تقليد الاندلسيين في فن الموشحات ، وألف فيه كتابا سماه « دار الطراز » ، شرح فيه فن الموشحات ونقل نماذج منها ، ثم قلدها ، وأضاف اليها وابتكر فيها ، وهنا أخذ المؤلف يبين أن ما ظنه ابتكارا في هذا الميدان هو انحراف آخر يضاف الى انحراف فهمه للشعر ، فالابتكار عنده هو في بذل الجهد العقلي وبذلك تحولت الموشحات « الى صنعة لفظية معقدة ، وضربا من الحيلة والتكلف ، تشغل النفس عن استقبال الاحساس العاطفي المسترسل الى مراقبة أعاجيب القوافي وتأليف الجميل » .

والمؤلف حجة في الادب الاندلسي وفي الموشحات بخاصة ، ولذا كانت دراسته لموشحات ابن سناء المصري على جانب من الطرافة ، ولكننا لم نستسغ المقارنة بين ابن سناء الملك وموشحات ابن العربي امام الصوفية وصاحب الفتوحات المكية . . . فابن العربي اندلسي الاصل وابن سناء مصري . وكان الاجدر بالمؤلف الا يغفل ذكر القطب الصوفي الآخر وهو ابن الفارض معاصر ابن سناء ومواطنه ، والمؤلف قد تحدث عن « اغاني الصوفية » ، ولم يرد ذكر لابن الفارض خلال كتابه .

وأخيرا فان هذا الكتاب ، رغم أسلوبه الهادىء ودقة المؤلف الحذرة ، يحمل بذور ثورة عارمة في دراسة الشعر العربي .

عبد الجليل حسن

القاهرة

قريبا :

الحركة العربية الواحدة

بقلم

عبد الله الريماوي

تحليل علمي ثوري للواقع العربي والمركة العربية بمنطق وحدة الهدف العربي بين المتناقضات والمصالح والقوى المتصارعة في المركة العربية في مرحلة التحول الثوري العربي .

● يفضح الوجوه والواجهات الجديدة للتحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي واحتكارات البترول .

● يشرح الواقع الحزبي في الوطن العربي على صعيد العقيدة والنضال والتنظيم في ضوء النشوء والتكوين والمواقف والمسالك وبالنسبة للقضية والمركة ومهماتها .

● يؤكد ان الحركة العربية الواحدة هي الصيغة الايجابية الثورية الوحيدة لوحدة النضال الجماهيري العربي وانتصار الثورة العربية وانها التجسيد العقائدي العلمي الصادق لوحدة الامة العربية وقوميتها

لوحدة الثورة العربية وهدفها

لوحدة العقيدة العربية ومنطقها

هي ميلاد - بالثورة - جديد ، وليست تجميعا بالالتقاء للقديم القائم .

هي تخط تطلبه وتحدد معالمه الثورة والعقيدة والتجربة والجماهير :

للاحزاب والحركات والمنظمات القائمة في وجودها ومقوماتها وفي تعديدها وفي منطقتها النابع من ذلك الوجود والتعدد .